الفصـــل الخامس

متطلبات تخطيط وبناء مناهج الصم

متطلبات تخطيط وبناء مناهج الصم

إن أسس تخطيط وبناء مناهج التلاميذ الصم لاتختلف فى قليل أو كثير عن أسس تخطيط وبناء مناهج التلاميذ العاديين ، فمناهج التلاميذ الصم شأنها شأن أى منهج لابد أن يتم وضعها فى ضوء فلسفة المجتمع وطبيعته وأهدافه من وراءعملية التربية ، وفى ضوء طبيعة التلميذ الأصم وطبيعة المعرفة وطبيعة الاتجاهات العالمية ، وعملية بناء المنهج ليست عملية عشوائية ، ولكنها عملية مخططة ومدروسة تتم وفقاً لأسس وقواعدعلمية متعارف عليهابين المشتغلين ببناء المناهج .

والأمر الذى يهمنا فى هذا المجال هو أن مناهج الصم أو غيرها من مناهج الفئات الخاصة تعتمد على أسس واحدة ، كما أن مكوناتها واحدة أيضاً ، وهو ما اتفق عليه عالمياً وعلمياً ، كما أن كل ما يظهر من أفكار أو تجارب جديدة ينسحب على عمليات المنهج جميعاً ولكن بأشكال متباينة ، أى أن الفكر أو الفلسفة ثابتة بالنسبة لجميع مناهج التعليم لأى فئة ، ولكن الاختلاف هو اختلاف نوعى فى الممارسة والتطبيق ، وهذا الأمر يرجع بطبيعة الحال إلى الفروق والتباينات التى تميز كل فئة عن الأخرى وكذا رؤية المجتمع إلى كل منها والمنظور الثقافى والحضارى والعالمى لكل منها .

وفى هذا الفصل سوف نستعرض الأسس التى ينبغى أن يتم فى ضوئها تخطيط وبناء مناهج التلاميذ الصم .

أسس تخطيط وبناء مناهج الصم

أولاً - المنطلقات الفكرية فى تربية الأصم :

إن نقطة البداية فى تخطيط وبناءمناهج الصم هى وجود فلسفة واضحة المعالم خاصة بهذه الفئة ، أو على الأقل ملامح فكر يوجه كافة العمليات التخطيطية والتنفيذية والخاصة بمناهج هذه الفئة ، والتساؤل الذى يثور دائماً فى هذا المجال هو من أين هذه الفلسفة وما مصادر تكوين هذا الفكر ؟

إن لكل مجتمع تاريخه وثقافته وتراكماته الخبرية عبر أجيال سابقة ، كما أن كل مجتمع له رؤيته الخاصة لهذه الفئة ومكانتها فى المجتمع ومايمكن أن تقوم به من أدوار فى الحياة الراهنة

وكذلك فى المستقبل ، ويرتبط بهذا الأمر درجة الإيمان بالقوى الكامنة لدى الأبناء من هذه الفئة وقدرتهم على العطاء والمشاركة ، إن هذه النظرة أو الفلسفة تعتمد فى تشكيلها على مدى تقدير المجتمع لخبرات الآخرين وفهم طبيعة وظروف وحاجات هذه الفئة ، ومايمكن أن يوجد من اختلافات فى مناهج هذه الفئة فى مختلف دول العالم وخاصة المتقدمة ، ومدى الاستعداد للاستفادة منها دون خوف أو تردد والاختيار وفق المعايير الخاصة التى تحكم حركة المجتمع وتصوره لما يمكن أن يقوم به كل الأبناء بغض النظر عن نواحى القصور فى حواسهم .

ثانياً - طبيعة المجتمع ونظرته إلى الأصم:

من الأسس الرئيسية لتخطيط وبناء مناهج التلاميذ الصم ، معرفة القائمين على وضع تلك المناهج ، طبيعة المجتمع وفلسفته وأهدافه وآماله من وراء تربية الأصم ، فلكى يتم بناء مناهج التلاميذ الصم على أسس علمية سليمة ، لابد من مراعاة طبيعة الفكر الاجتماعى السائد ، لتحويل هذا الفكر إلى واقع ملموس ، يعكس قيم واتجاهات وعادات وتقاليد اجتماعية لا غنى عنها بالنسبة للتلميذ الأصم .

وعلى ذلك فإن على المجتمع أن يحدد الأهداف الرئيسية من وراء تربية التلميذ الأصم ، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية :

- ما طبيعة التلميذ الأصم ؟
- وما الهدف من تربيته ؟
- كيف يمكن تربيته ؟

المجتمع وطبيعة الأصم :

إن معرفة مجتمع العاديين بطبيعة التلميذ الأصم ، يعد أمراً أساسياً لا غنى عنه عند بناء المنهج ، فالأصم له طبيعة خاصة فرضتها عليه إعاقته السمعية التى أثرت بدورها على نموه المعرفى واللغوى والاجتماعى والنفسى ، فعندمايلتحق الأصم بالمدرسة يكون قد مر بمرحلة نمو لها خصوصيتها ، من حيث طبيعة المفاهيم والاتجاهات التى اكتسبها خلال تلك المرحلة ، بالإضافة إلى وجود الفروق الفردية بين التلاميذ الصم ، التى ترجع إلى اختلاف أسباب الإصابة بالصمم ، واختلاف درجة فقدان السمع واختلاف الاتجاهات الوالدية تجاه الأصم واختلاف البيئة التى نشأ فيها ، وأهم من هذا كله نظرة المجتمع للتلاميذ الصم ، فعندما نطلب من

المجتمع أن يتعرف طبيعة التلميذ الأصم ، من حيث قدراته وإمكاناته وميوله واتجاهاته وأنماط تفكيره ، فإننا بذلك نسعى إلى محو أمية معظم أفراد المجتمع تجاه الأصم وطبيعة الصمم، تلك الأمية التى تظهر بصورة واضحة عندما نرى علامات الدهشة والتعجب وأحياناً الشفقة والأسى على وجوه بعض الناس ، عندما يعرفون أنك متخصص فى تعليم التلاميذ الصم ، وتجدهم يلاحقونك بالأسئلة التالية :

هل الصم يتعلمون فى مدارس كما يتعلم العاديون ؟

وهل يقرأون ويكتبون ؟ وكيف نتفاهم معهم ؟

ألا تخشى على نفسك من التعامل معهم ؟!

وغيرها من الأسئلة التى تنم عن مدى جهل قطاعات كثيرة من المجتمع عن طبيعة الأصم، وطرق تعليمه ، وحقيقة الأمر أن مسئولية ذلك لا ينبغى أن نلقيها على عاتق هؤلاء وحدهم ، بل يشاركهم فى تلك المسئولية وسائل الإعلام المختلفة ، التى يجب أن تقوم بتبصير المجتمع بطبيعة إعاقة هؤلاء الصم وغيرهم من الفئات الخاصة ، ولا نعفى أيضاً واضعو مناهج التلاميذ العاديين من تلك المسئولية ، حيث ينبغى أن تتضمن تلك المناهج جزءًا عن هؤلاء المعوقين وطبيعة إعاقتهم ، وكيفية التعامل معهم، بدلاً من مضايقتهم والتحرش بهم . فنحن جميعاً معرضون فى أى وقت لفقد أى حاسة من حواسنا التى منَّ الله بها علينا ، حينئذ سوف نشعر بمدى الظلم الواقع على هؤلاء المعوقين نتيجة جهلنا أو تجاهلنا لاحتياجاتهم المختلفة .

وقد عبرت (هيلين كيلر)(*) عن ذلك ، موجهة حديثها إلى العاديين بقولها : « *إن العمى ليس بشىء ، وإن الصمم ليس بشىء .. فكلنا فى حقيقة الأمر عمى وصم عن الجلائل الخالدة فى هذا الكون العظيم* » .

وعلى ذلك فإن المجتمع مطالب بتعرف طبيعة الصمم ، وتأثيره على الجوانب المختلفة لشخصية الأصم، لكى يتمكن من بلورة نوع من الفلسفة ، يستطيع أن يحددعلى ضوئها الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها من وراء تربية الأصم ، بحيث تترجم تلك الأهداف العامة إلى مناهج مختلفة .

(*) هيلين كيلر (١٨٨٠-١٩٦٨م) سيدة أمريكية ولدت بولاية الاباما بالولايات المتحدة الأمريكية ، فقدت السمع والنطق والبصر قبل أن تبلغ العامين من عمرها ، ورغم ذلك تفوقت وحصلت على الدكتوراه ولها مؤلفات عديدة.

المجتمع وأهدافه من تربية الأصم :

بعد معرفة المجتمع بطبيعة الجوانب المختلفة لشخصية التلميذ الأصم عليه أن يحدد الهدف من تربيته، من خلال تبنى فلسفة واضحة المعالم نابعة من واقعنا ومعبرة عن شخصيتنا.

فعلى المستوى العالمى ، نجد أن هناك ثلاث مدارس فكرية لتربية التلاميذ الصم، تتبنى كل مدرسة فلسفة وأهدافًا تختلف عن المدرسة الأخرى ، ويمكن توضيح ذلك فيما يلى :

المدرسة الأولى : تنادى بوجود عالمين متميزين هما عالم الصم وعالم العاديين ، وتركز تلك المدرسة على الصمم وتأثيره على مختلف نواحى النمو الاجتماعى للأصم ، ويرى أصحاب تلك المدرسة ضرورة تأهيل التلاميذ الصم لأنواع معينة فقط من الوظائف والمهن التى تتلاءم مع قدراتهم وإمكاناتهم ، ولذا فهى تتبنى برامج تعليمية لتخريج الأفراد الصم الذين يحملون ثقافة فرعية خاصة بهم، وتؤهلهم للتغلب على بعض المشكلات الاجتماعية التى تتمثل فى سوء فهم الناس لطبيعة الأصم وقدراته المختلفة .

المدرسة الثانية : ينادى أصحابها بوجود عالم واحد فقط ، هو عالم العاديين ، وعلى الصم أن يتعلموا ويعتادوا على المشاركة والاندماج فيه ، ولذلك فهى تركز على الإمكانات والطاقات المتنوعة الكامنة داخل التلميذ الأصم ، والتى لم يتم استغلالها بعد على الوجه الأمثل ، وذلك من خلال طرق التعليم المختلفة التى تبدأ فى سن مبكرة عقب حدوث واكتشاف الصمم ، والتى تعتمدعلى التدريب السمعى لاستغلال بقايا السمع ، لتأهيل الصم للإندماج في عالم العاديين .

المدرسة الثالثة : ترى أن هناك الكثير من التداخل بين عالم الصم وعالم العاديين ، بمعنى أن بعض التلاميذ الصم ، قد ينجحون فى تحقيق تقدم ملموس على المستوى التعليمى والمهنى ، وقد يرجع السبب فى ذلك إلى التعليم المبكر أو بسبب قدراتهم الفطرية ومهارتهم على الاتصال أو بسبب تدخل الأسرة وتوفيرها الجو المناسب لتحقيق مثل هذا المستوي ، ومع ذلك فإن أصحاب تلك المدرسة يعترفون بوجود مواقف معينة سيكون وجود الصم فيها هامشياً وبلا تأثير ، مما قد ينعكس بالتالى على درجة تكيفه الاجتماعي .

ونظراً لطبيعة الاختلاف فى وجهات النظر بين أصحاب المدارس الفكرية الثلاث ، فإن هذا الاختلاف يؤدى بدوره إلى اختلاف طبيعة المنهج من حيث أهدافه ومحتواه والطرق

والوسائل والأنشطة وأساليب التقويم ، وعلى تحديد طريقة الاتصال بالتلاميذ الصم ، ليس هذا فحسب ، بل سوف يؤثر أيضاً على طرق إعداد المعلم وعلى الترتيبات التنظيمية لفصول التلاميذ الصم ، من حيث دمجهم أو عدم دمجهم في فصول التلاميذ العاديين .

وعلى ذلك فإن أى منهج لا ينشأ من عدم أو فراغ ، إنما هو إنعكاس وترجمة صادقة لطبيعة وفلسفة المجتمع ، الأمر الذى يدعونا على المستوى المحلى إلى تبنى فلسفة نابعة من واقعنا ، ومعبرة عن هويتنا ووجهتنا ، يتم بمقتضاها تحديد الهدف الأساسى من وراء تربية الأصم . من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية :

- هل المجتمع يهدف من وراء تربية التلميذ الأصم تأهيله مهنياً مع دراسته لنفس محتوى مناهج التلاميذ العاديين الذين يصغرونه فى السن كما هو الواقع الآن ؟

- أم أن المجتمع يهدف من وراء تربية التلميذ الأصم جعله على قدم المساواة فى كل شىء مع أقرانه من العاديين ؟ وبالتالى نقدم له نفس مناهج التلاميذ العاديين بدون تعديل أو حذف ، ويصبح لهم الحق فى الالتحاق بالتعليم العالى بكلياته ومعاهده المختلفة أسوة بالعاديين .

- أم أن هدف المجتمع من تربية التلميذ الأصم تأهيله مهنياً ، بجانب دراسته لمناهج تم تخطيطها وتنفيذها على أسس علمية سليمة بحيث تتلاءم مع طبيعة الأصم ؟ مع إتاحة الفرصة للطلاب الصم من المتفوقين للالتحاق بمعهد أو كلية لها طبيعة خاصة تتلاءم مع هؤلاء الطلاب الصم .

وإذا تمت مناقشة هذه التساؤلات بشكل موضوعى بعيداً عن الشعارات البراقة التي لاتستند على أى أسس علمية ، فأننا نذكر ، أنه إذا كان المجتمع يسعى إلى تحقيق الهدف الأول، ويريد الابقاء عليه دون أى تغيير ، فهو يسير فى الاتجاه الخاطئ ، نظراً لعدم ملاءمة مناهج التلاميذ العاديين مع التلاميذ الصم، كما سبق أن أوضحنا فى الفصل السابق . وبالنسبة لتأهيل الأصم تأهيلاً مهنياً ، فهو هدف رئيسى يسعى المسئولون عن التربية السمعية إلى تحقيقه ، فالهدف الرئيسى من الحلقة الإعدادية المهنية والمرحلة الثانوية الفنية - كما هو واضح من الاسمين - هو إعداد التلميذ الأصم إعدادًا مهنياً ، حيث تركز خطة الدراسة الحالية على التدريبات المهنية المختلفة ، والتى تتساوى خطة دراستها مع جميع المواد النظرية مجتمعة .

ولكن هناك العديد من الدراسات قد أشارت إلى أن حصيلة ما يتعلمه الأصم من تدريبات عملية لا يتناسب مع ما خصص لتلك التدريبات العملية من حصص ، وذلك نظراً لقلة الاعتمادات المالية اللازمة لشراء الآلات والأجهزة والخامات الضرورية لتدريب التلاميذ الصم ، بالإضافة إلى عدم توافر الكفايات التدريسية اللازمة لدى معظم معلمى المواد العملية التى تؤهلهم للقيام بالتدريس والتدريب كما ينبغى .

وعلى ذلك فإن السياسة المتبعة حالياً والتى تركز على تدريب الأصم تدريباً مهنياً ، بحيث يصبح قادراً على الاشتغال بحرفة يدوية بعد انتهائه من مرحلة التعليم الثانوى حتى لايصبح عالة على المجتمع ؛ سياسة حكيمة ، ولكن ينبغى تذليل الصعوبات التى تعترض تحقيق أهداف تلك السياسة ، لسد الفجوة بين المستوى التخطيطى والمستوى التنفيذى لفلسفة التأهيل المهنى والتعليم الفنى الخاص بالصم .

وفيما يتعلق بالتساؤل الثانى ، الذى يهدف إلى تحقيق المساواة بين التلاميذ العاديين والتلاميذ الصم ، وبالتالى تعميم مناهج العاديين على التلاميذ الصم بدون تعديل أو حذف ، فإذا كان المجتمع يهدف إلى ذلك ، فإننا بذلك نضرب بالأسس التى تقوم عليها المناهج عرض الحائط ، لأننا لم نراع طبيعة المتعلم ، فكيف نخاطب كل من العاديين والصم بلغة واحدة من خلال منهج واحد ؟ وكيف يستطيع الأصم أن يلتحق بالتعليم العالى ، ويكون جنباً إلى جنب مع أقرانه العاديين ؟

ولذلك فإن علينا أن نضع نصب أعيننا دائماً المبدأ الواقعى الذى يرى « *إن الصمم يفرض على ضحاياه حدوداً معينة يصعب تجاوزها* » .

وبالنسبة للتساؤل الثالث، الذى يهدف إلى تأهيل الأصم تأهيلاً مهنياً يجمع بين النظرية والتطبيق ، بجانب وضع مناهج خاصة بهم ، وإتاحة الفرصة للمتفوقين منهم للالتحاق بنوع من التعليم العالى الخاص بهم فقط ، فهو يعد مطلباً رئيسياً وملحاً ،لكل من المعلم والتلميذ والموجه وولى الأمر وجميع من لهم صلة بتعليم التلاميذ الصم، ولذلك فإن أى تباطؤ فى وضع مناهج خاصة بالصم ، لم يعد بالأمر المعقول أو المقبول على الاطلاق ، مهما كانت الحجج والتبريرات التى قد يتعلل بها البعض .

وكثيراً ما يُعرب التلاميذ الصم المتفوقين دراسياً وأولياء أمورهم عن رغبتهم الشديدة فى مواصلة التعليم العالى ، ويتساءلون عن السبب فى عدم تحقيق تلك الرغبة ، وهو ما يجعلنا

نضم صوتنا إلى جانب أصواتهم ، بضرورة إتاحة الفرصة أمامهم لمواصلة السلم التعليمى، بدلاً من اقتصاره فقط على مرحلة التعليم الثانوى ، وذلك تحقيقاً لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية أمام الجميع عاديين وغير عاديين ، حتى لا يشعر التلميذ الأصم أن إعاقته هى التى حرمته من الالتحاق بالتعليم العالى ، مما قد يؤثر على صحته النفسية .

المجتمع وطرق تربية الأصم :

عندما يتم التخطيط لوضع المداخل والطرق الخاصة بتربية التلميذ الأصم ، لابد من محاولة التخلص من الأفكار والمعتقدات والتأثيرات ، التى غالباً ماتكون قد تكونت لدينا من خلال تعاملنا واحتكاكنا لمدة طويلة بالتلاميذ العاديين ، حتى لا نجد أنفسنا بدون أن نشعر نقوم بتخطيط واتباع نفس المداخل والطرق المتبعة فى تعليم العاديين ونطبقها على الصم ، وعندمانقوم بذلك فإننا نظلم كل من المعلم والمتعلم فى آن واحد .

لذلك ينبغى أن تصبح طرق تربية التلاميذ الصم ، انعكاساً للفلسفة التربوية للمجتمع، مع الوضع فى الاعتبار الإمكانات المادية والبشرية المتاحة ، على ألا تركز طرق تربية الأصم على التحصيل فقط من خلال نجاحه فى حل الأسئلة التحريرية ، بل يجب أن نعلّم التلميذ الأصم كيف يتعلم ؟ كيف يفكر ؟ وكيف يحصل على المعرفة ؟

إن طرق التربية المتبعة الآن ، قد جعلت من التلميذ الأصم متلقياً سلبياً ، حيث يلاحظ أن التفاعل الذى يتم داخل حجرة الدراسة ، غالباً ما يكون من اتجاه واحد ، من قبل المعلم ، فى حين يكتفى التلاميذ الصم فى الغالب بإيماءة رؤوسهم للمعلم من وقت لآخر كإشارة على الفهم والاستيعاب .

ولذا فإننا مطالبون بتحديد الأدوار المختلفة ، التى يجب أن يقوم بها المعلم خلال تعامله مع التلميذ الأصم ، من حيث قيامه بإثارة دافعية وانتباه التلاميذ تجاه المادة العلمية ، وتشجيعهم على المناقشة والتفكير فيما يقدم لهم من خبرات تعليمية ، مع التركيزعلى الأنشطة المدرسية ، التى يجب أن تتلاءم مع اهتمامات وميول التلاميذ الصم ، والتى تتيح لهم فرصة للتعبير عن أنفسهم ، وتكسبهم مهارات وقيم ومفاهيم جديدة ، على أن يقوم المعلم بالتخطيط الجيد لتلك الأنشطة ، التى ينبغى أن تتسق مع أهداف ومحتوى المنهج ، حتى لايشعر كل من المعلم والمتعلم أن تلك الأنشطة مضيعة للوقت ، وأنها ليس لها هدف واضح .

وعندما نتحدث عن طبيعة المجتمع وفلسفته وعلاقة ذلك بتخطيط وبناء مناهج التلاميذ الصم ، لابد أن نشير إلى ضرورة مراعاة المناهج للجوانب الاجتماعية التالية :

١ - معرفة الأصم بحقوقه وواجباته داخل المجتمع .

٢ - التأكيد على مكانة الصم الاجتماعية بين أفراد المجتمع .

٣ - التأكيد على القيم الدينيةوالخلقية التى يعتنقها المجتمع .

٤ - تنمية روح الانتماء للوطن وللأسرة وللمدرسة لدى الصم .

٥ - تنمية الاتجاه لدى الصم باحترام العادات والتقاليد المقبولة اجتماعيًا وعدم الخروج عليها .

٦ - تعريف الأصم بالبيئة المحلية .

٧ - معرفة الأصم بالمشكلات التى تواجه المجتمع ودوره فى علاج تلك المشكلات .

٨ - تبصير الأصم بأنه يعيش كفرد ضمن عالم كبير .

٩ - تبصير الأصم بالجهود التى تبذل فى كافة المجالات ، على المستويين العالمى والمحلى للنهوض بالصم.

١٠ - تدريب الصم على اكتساب مهارات الاتصال المختلفة التى تؤهلهم للاندماج مع مجتمع العاديين .

١١ - تدريب الصم على مهارات الحياة اليومية ، حتى يتغلب على الصعوبات التى تواجهه فى تعامله اليومى مع الآخرين .

ثالثاً - طبيعة الأصم وبناء المنهج

إن على الذين يتصدون لتخطيط وبناء مناهج التلاميذ الصم، أن يكونوا على معرفة كاملة بطبيعة التلميذ الأصم ، من حيث قدراته وإمكاناته وميوله واهتماماته واتجاهاته ، وكذلك طبيعة نموه العقلى والاجتماعى والانفعالى ورصيده من الخبرات السابقة ، وهذا يتطلب بالضرورة الاطلاع على البحوث والدراسات التى تناولت جوانب النمو المختلفة التى يمر بها الأصم ، ومدى تأثير الصمم على طبيعة العمليات العقلية لديه ، وذلك لأن معرفة المخططين والمنفذين لمناهج الصم بتلك الجوانب المختلفة ستجعلهم يضعون أيديهم على مفتاح شخصية الأصم ، بما يمكنهم من الاقتراب والدخول إلى عالم الصم ، لمعرفة أفضل العوامل والظروف

والطرق التى يمكن أن تيسر عملية التعلم ، ليترجم كل ذلك فى صورة مناهج تتلاءم مع طبيعة الأصم.

وعلى ذلك يمكن أن نستعرض فى إيجاز بعض الجوانب التى توضح خصائص الأصم من حيث قدراته العقلية ونموه الاجتماعى والانفعالى فى الصفحات التالية .

(أ) النمو المعرفى لدى الصم :

إن النمو المعرفى لدى الصم كان ولا يزال مجالاً للعديد من الدراسات التى تناولت كل من العلاقة بين اللغة والتفكير ، وأداء الصم فى اختبارات الذكاء والتحصيل الأكاديمى ، والمشكلات المتعلقة باكتساب المفاهيم ، ونشاط الذاكرة لدى الصم ، وقد قام (روسنستين Rosenstein) (١٩٦١) بمراجعة العديد من الدراسات التى تناولت النمو المعرفى واللغوى لدى الأطفال الصم ، وقد خلُص بنتيجة مؤداها ، أنه لا يوجد تصور واضح عن مستوى الأداء فى المجال المعرفى والإدراكى لدى الأطفال الصم ، وذلك نظراً لصعوبة تطبيق الاختبارات على الصم ، بالإضافة إلى وجود تعارض فى نتائج العديد من الدراسات .

وسوف نستعرض بعض جوانب النمو المعرفى لدى التلاميذ الصم ، من خلال إلقاء الضوء على ما يلى :

١ - مستوى الذكاء والتحصيل لدى الصم :

أوضحت نتائج الدراسات التى تناولت مستوى الذكاء لدى الأطفال الصم ، أنهم بصفة عامة ، متأخرون فى مستوى النمو المعرفى بثلاث إلى أربع سنوات مقارنة بالأطفال العاديين ، كما قام (فيرنون Vernon) (١٩٦٩) بمراجعة عدد كبير من الدراسات التى قارنت بين مستوى الذكاء لدى التلاميذ الصم والتلاميذ العاديين ، ووجد أن معدل درجات التلاميذ الصم منخفض قليلاً عن معدل درجات التلاميذ العاديين . ولكن بصفة عامة فإن التلاميذ الصم عادة ما يحققون مستوى عادياً من الأداء ، وذلك من خلال استخدام الجزء العملى لاختبار (وكسلر) لذكاء الأطفال (WISC) والذى يعتبر الأكثر استخداماً مع الصم حيث لايتطلب مستوى عالٍ من اللغة سواء فى المدخلات أو المخرجات .

وفيما يتعلق بمستوى التحصيل الأكاديمى لدى التلاميذ الصم ،تشير نتائج الدراسات إلى انخفاض المستوى العام للتحصيل لدى الصم وأن أحدث مقاييس التحصيل الأكاديمى

التى تم تطبيقها على التلاميذ الصم ، تشير إلى أن أعلى معدل للتحصيل لمجموعة من الصم فى أى مرحلة عمرية فى « معنى الفقرة » كا ن (٤ , ٤) وفى « الريا ضيات » (٧ , ٦) ، ويلاحظ أن التلاميذ الصم من آباء صم ، قد حققوا مستوى أعلى فى اختبارات التحصيل الأكاديمى عن التلاميذ الصم من آباءعاديين .

٢ - اللغة وعلاقتها بالتفكير لدى الصم :

إن قضية العلاقة بين اللغة والتفكير من أكثر القضايا إثارة للجدل بين علماء النفس المهتمين بدراسة اللغة ، والذين حاولوا الإجابة عن الأسئلة التالية :

هل نحن فى حاجة إلى اللغة لكى نستطيع التفكير ؟

أم هل نحن فى حاجة إلى التفكير لكى نستطيع الكلام ؟

وأيهما يعتمد على الآخر وأيهما يسبق الآخر .. التفكير أم اللغة ؟

وهى قضايا ، كما نلاحظ ، على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفهم طبيعة اللغة والتفكير لدى الأصم ،لأن معرفتنا بطبيعة تلك العلاقة وأبعادها المختلفة سيؤثر بالتالى على طبيعة مناهج التلاميذ الصم .

إن اللغة تعتبر من أشد وظائف الإنسان إنسانية ، فالإنسان هو الكائن الوحيد القادر على ترجمة أفكاره ومشاعره إلى كلمات وعبارات مفهومة ، والمتحدثون باللغة يفكرون أولاً فيما يريدون قوله ، وتقوم ألسنتهم بباقى المهمة ، فتضع أفكارهم فى كلمات بشكل آلى ، فالإنسان لايستطيع أن يتكلم عن شىء لا يستطيع التفكير فيه أولاً .

ولكن بالنسبة للصم فإن الوضع مختلف ، فهم يفكرون فيما يريدون التعبير عنه ، وتقوم الأصابع بباقى المهمة، فتضع أفكارهم على هيئة إشارات بشكل آلى أيضًا ، ***بمعنى أن الأفكار لدى العاديين تترجم إلى ألفاظ مسموعة ولدى الصم تترجم إلى إشارات مرئية .***

وفى هذا الصدد لابد من الإشارة إلى أن الحصول على المعلومات بواسطة العين بالنسبة للصم ، ليس كالحصول عليها بواسطة الأذن بالنسبة للعاديين ، فلغة الإشارة لا يمكن أن تترجم كل ما هو منطوق ، كما أنها لا تفهم بسرعة مثل الكلام ، فالأيدى لا يمكن أن تترجم الإشارات بالسرعة التى يقوم بها اللسان ، والعين أيضاً لا يمكن أن تفهم الإشارات بسرعة

الأذن عند سماعها للصوت ، لذلك فإن الصم لا يتلقون كل المعلومات التى يتلقاها العاديون ، لذلك فأى مقارنة بين الصم والعاديين مقارنة ظالمة وغير موضوعية .

وقد أشار كل من (بينيه وسيمون Binet & Simon) (١٩١٠) إلى أن عمليات التفكير لدى الأصم تنمو قبل تعلم اللغة ، وهناك من يرى أن التفكير لدى الأصم ينمو بشكل مستقل عن اللغة ، حيث أوضح (بوت Booth) أن الإشارات التى يستخدمها الأصم، تمر أولاً على العقل قبل أن تعبر الفكرة عن نفسها ، وهو ما يفسر مستوى الأداءالعقلى المرتفع لدى بعض الأطفال الصم .

ويمكننا القول أن عملية التفكير لدى الأصم تنمو بشكل مستقل عن اللغة المنطوقة الخاصة بالعاديين ، وإنها تتم من خلال لغة أخرى يمكن أن نطلق عليها (**اللغة المرئية**) باعتبار أن الأفكار التى يريد الأصم التعبير عنها تتحول إلى لغة إشارة مرئية ، والكلمات المكتوبة يمكن أن تندرج أيضاً تحت ما يعرف باللغة المرئية ، لأن الأصم عندما ينظر إلى الكلمات المكتوبة ، يدرك تلك الكلمات كرموز مطبوعة أو مكتوبة ، بحيث يستطيع أن يميزها عن الكلمات الأخرى عن طريق النظر وليس عن طريق النطق .

اللغة المكتوبة لدى الصم :

إن الصمم يؤثر على اللغة المكتوبة لدى الصم ، لذلك فإن طبيعة اللغة المكتوبة لدى الصم كانت موضوعاً للعديد من الدراسات قامت بتحليل كتابات التلاميذ الصم ، من حيث طبيعة تلك الكتابات ، وعدد الأخطاء التى يقعون فيها أثناء الكتابة ، وقد أوضحت نتائج تلك الدراسات ما يلى :

- أن الجمل التى يكتبها التلميذ الأصم ، أقصر من الجمل التى يكتبها التلميذ العادى .
- التلميذ الأصم لا يستخدم جملاً كثيرة في الكتابة .
- بناء الأصم للجمل بسيط وغير مركب.
- التركيبات اللغوية المكتوبة لدى التلاميذ الصم مفككة وغير مترابطة المعنى ومحدودة .

- التلميذ الأصم لا يلتزم عند ترتيبه لكلمات الجملة ، بالقواعد النحوية ، ويتوقف ترتيبه لها على تسلسلها فى ذهنه كلغة إشارة .

- التلميذ الأصم يقع فى الكثير من الأخطاء عند الكتابة ، والتى تتمثل في عدم وضع النقط على أو تحت الحروف ، أو كتابة جزء من الكلمة فى سطر والجزء الآخر فى السطر التالى .

اللغة المقروءة لدى الصم :

هناك العديد من الدراسات ووجهات النظر التى ترسم صورة كئيبة فيما يتعلق بمهارات القراءة لدى التلاميذ الصم، حيث تتأثر مهارة القراءة بدرجة كبيرة بوجود الإعاقة السمعية ، نظراً لاعتمادعملية القراءة على النمو اللغوى . ومن هذه الدراسات ، دراسة (رايت ستون وزملائه Wrightstone & Others) (١٩٦٣) ودراسة (فيرنون ووليمز Vernon & Williams) (١٩٧٠) ، وقد أوضحت نتائج تلك الدراسات وجود انخفاض فى مستوى القراءة بصفة عامة لدى التلاميذ الصم فوق سن (١٦) سنة فى الولايات المتحدة الأمريكية . وأن ٣٠٪ منهم كانوا أميين .

وتلك النتائج توضح مدى انخفاض مستوى القراءة لدى التلاميذ الصم ، الذين يجدون صعوبة فى تحويل الرموز المرئية للكلمات المكتوبة إلى أصوات بعكس التلميذ العادى الذى يحول الرموز المرئية للكلمات إلى أصوات ويقوم فى نفس الوقت بإيجاد نوع العلاقة التى تربط بين الكلمات بعضها البعض ، ليخرج فى النهاية بتصور عقلى معين عن معنى الكلمة وذلك فى إطار الجملة ، ومعنى الجملة فى إطار الفقرة ، ومعنى الفقرة فى إطار الفكرة العامة للموضوع ، وهو ما يفتقده التلميذ الأصم الذى غالباً ما ينظر إلى الكلمات المكتوبة على أنها رموز مرئية ، وأحياناً ينجح فى تعرف معناها ، عندما يتذكر الإشارة الدالة على معناها ، ومن خلال معرفته بتلك الكلمات القليلة والمتفرقة فى النصوص المكتوبة ، قد يستطيع أن يستنتج مضمون الفكرة الرئيسية التى يدور حولها النص .

٣ - طبيعة الذاكرة لدى الصم :

نظراً لأهمية الدور الذى تلعبه الذاكرة فى عملية التعليم والتعلم ، باعتبارها مكوناً من مكونات القدرة المعرفية ، فقد تم إجراء العديد من الدراسات حول طبيعة الذاكرة لدى الصم، حيث ترى بعض الآراء أن قوة الذاكرة لدى الأصم تتأثر بالإعاقة السمعية .

وفيما يلى أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسات التى تناولت طبيعة الذاكرة لدى الصم :

- حقق التلاميذ الصم نتائج أفضل فى تذكر الكلمات التى لها نظير فى لغة الإشارة بعكس الكلمات التى ليس لها إشارة ، كما وُجد أن التلاميذ الصم أكثر قدرة من العاديين على تذكر الكلمات المتشابهة من حيث الشكل ، فى حين اتضح أن التلاميذ العاديين أكثر قدرة من التلاميذ الصم على تذكر الكلمات المتشابهة من حيث اللغة المنطوقة (أودم وآخرون Odom & Others) (١٩٧٠) .

- حقق التلاميذ العاديون نتائج أفضل من التلاميذ الصم ، فيما يتعلق بالاستدعاء المرجأ، وتساوى كل منهما فى الاستدعاء الفورى(هربر وجوتزنجر Hurber & Goetzinger) (١٩٦٤).

- حقق التلاميذ الصم فى اختبارات الذاكرة البصرية ، نتائج أفضل من التلاميذ العاديين ، خاصة فى الاختبارات الخاصة بتذكر تصميم الأشكال ، فى حين كان التلاميذ العاديين أفضل فى الاختبارات المتعلقة بتذكر المسافات والأبعاد ، والتى تتطلب قدرة على التجريد العقلى ، وهو ما يشكل صعوبة لدى الأصم. (بلاير Blair) (١٩٥٧) .

- استخدام المثيرات السمعية والبصرية ، يحقق نتائج أفضل لدى التلاميذ الصم فى مستوى التذكر ، بعكس استخدام المثيرات السمعية والبصرية كل على حدة ، بالإضافة إلى أن النتائج قد أظهرت أن عرض المواد اللفظية بشكل بصرى أفضل من عرضها بشكل سمعى (كلارك و بر يونكس Clark & Bruininks) (١٩٧٠) .

٤ - مفهوم الزمن لدى الصم :

تعتبر قدرة الفرد على استيعاب فكرة تطور أو تسلسل الزمن من الأمور المهمة والضرورية لمعرفة وفهم الخبرات والتجارب الإنسانية السابقة ، ليس هذا فحسب ؛ ولكنها تساعده على التخطيط للمستقبل، ولذلك يلعب التوجيه الزمنى دوراً مهماً وأساسياً فى حياة الفرد وفى تعليمه وفى اتصاله بالآخرين داخل المجتمع ، ويلعب مفهوم الزمن دوراً محورياً فى حياتنا وخاصة فى أبعادها الفلسفية والعلمية والاجتماعية .

وقد استرعى مفهوم الزمن لدى الصم اهتمام رجال التربية وعلم النفس ، نتيجة الملاحظات المتكررة بوجود صعوبة تعترض التلاميذ الصم فى معرفة وفهم الموضوعات التى تتعلق بالنشأة والتطور ، لذلك فقد افترض البعض أن فقدان حاسة السمع وما يترتب عليها

من تأخر النمو المعرفى وقصور اللغة لدى التلاميذ الصم ، له تأثير سلبى على إدراك مفهوم الزمن لدى الصم . ولتعرف الأسس الفسيولوجية التى تكمن وراء إدراك الإنسان للزمن ، فقد حاول نظرية « الوقت النابض » أو « الساعة الداخلية » (لهوجلاند Hoagland) (١٩٣٣) ، تفسير ذلك فى ضوء الفرض الخاص بوجود آلية معينة داخل الإنسان ، هى التى تساعده على إدراك مفهوم الزمن ، وهناك أيضاً ما يعرف بمبدأ تخزين المعلومات أو النظرية المعرفية ، والتى ترى أن عملية تقدير الزمن تعتمد على الأرقام وعلى طبيعة الأحداث الداخلية ، من خلال الفواصل الزمنية المختلفة .

وإذا افترضنا جدلاً صحة نظرية « الوقت النابض » فلن يكون هناك فرق فى إدراك الزمن بين كل من العاديين والصم ، ولكن إذا تبين أن للجهاز السمعى دور مهم فى تقدير الزمن ، عندئذ قد يكون إدراك الأصم للزمن مختلف عن العاديين .

وفى ضوء فقدان حاسة السمع لدى الصم ، فمن الطبيعى أن نتساءل : هل يستوعب الصم للكلمة أو الجوانب المتعلقة بالكلمة كظاهرة كلامية بطريقة مختلفة عن العاديين ؟

والواقع أن نتائج الدراسات الخاصة بالقدرات الإدراكية لدى الصم ، والتى حاولت الإجابة عن هذا السؤال ، نتائج متضاربة ، حيث توجد أبحاث تؤيد نجاح الصم فى استيعاب الكلمة كظاهرة كلامية ، وأبحاث أخرى تعبر عن فشلهم ، ونستطيع القول أن هناك احتمال كبير لحدوث فجوات فى تطور إحساس الأصم بالمدى الزمنى ، وذلك فى ضوء طبيعة بيئته الاجتماعية ومستوى تعليمه ، بالإضافة إلى عامل الخبرة وعمره الزمنى .

وفى ضوء نتائج الدراسات الخاصة بتحديد العلاقة بين الصمم والتنظيم الزمنى ، والتى أوضحت وجود علاقة ضعيفة بينهما ، فإن ذلك يفسر عدم تذكر الأطفال الصم للمفردات المتتابعة ، والذى يرجع فى الأساس إلى أن المعلومات السمعية تعتبر معلومات زمنية (كونراد Conrad) (١٩٧٩) ، وعلى ذلك فإن الطفل الأصم الذى يفتقد للغة الشفهية ، سوف يعتمد على التخيل أو التصور ، والذى يعتبره (كونرا د) غير كاف لمعرفة وفهم المعلومات المتتابعة .

وهناك من يتساءل عن مدى تأثير الحرمان الثقافى على معرفة الإنسان للزمن ، وهو مايستدعى بالضرورة تحديد ما إذا كان الأفراد الصم يمكن أن نعتبرهم من المحرومين ثقافياً ، وذلك طبقاً لآراء (فيورستين Feuerstein) (١٩٨٠) أم أن الصم يمتلكون نظرة أو رؤية عن الحياة ، تختلف عن الثقافة العامة المحيطة بهم ؟ وغيرها من التساؤلات التى دارت وتدور

حول مدى تأثير فقدان السمع على إدراك الزمن لدى الصم ، والتى لم يتم الإجابة عنها حتى الآن بشكل قاطع ، وذلك على الرغم من أهمية الإجابة عن تلك التساؤلات ، والتى سوف تنعكس بصورة أو بأخرى على طبيعة عناصر مناهج التلاميذ الصم .

٥ - الصم واكتساب المفاهيم :

أوضحت الدراسات أن التلاميذ الصم يكتسبون المفاهيم بنفس التسلسل وبنفس الطريقة التى تتبع مع التلاميذ العاديين ، ولكن اكتساب الصم للمفاهيم المختلفة يتم فى أعمار زمنية أكبر من أعمار العاديين، كما يلاحظ أن التلاميذ الصم يواجهون بعض الصعوبات المتعلقة باكتساب المفاهيم المتناقضة ، وأنهم يتأخرون إلى حد ما فى اكتساب المفاهيم المتشابهة ، وأن قيام التلاميذ الصم بعملية دمج بعض المفاهيم مع بعضها من أجل التوصل إلى حل بعض المشكلات يبدو أكثر صعوبة بعكس التلاميذ العاديين .

٦ - الفروق الفردية بين التلاميذ الصم :

لما كانت طبيعة العمل المدرسى تتعلق بمجموعات من التلاميذ يختلف كل منهم عن الآخر فى طبيعته الخاصة ، وفى درجة النمو التى وصل إليها فى كافة جوانب شخصيته ، لذلك نجد أن هناك فروقاً فى درجة الذكاء والتحصيل وفى النواحى المزاجية وفى الخصائص الجسمية .. إلى غير ذلك من نواحى النمو ، وهو ما يؤكد على أهمية مراعاة المخططين والمنفذين للمناهج للفروق الفردية بين التلاميذ الصم، فالصم فئة غير متجانسة ، يختلف أفرادها عن بعضهم البعض، كما هو الوضع بالنسبة للعاديين ، ويرجع السبب فى تلك الفروق الفردية بين التلاميذ الصم إلى الأسباب التالية :

- الاكتشاف والتشخيص المتأخر لحدوث الإعاقة السمعية .
- التأخرفى تدريب الطفل الأصم على طرق الاتصال المختلفة .
- السن الذى يحدث عنده الصمم ، ومدى الخبرات السمعية التى سبقت حدوثه .
- نوع الصمم ومدى عمقه .
- درجة تدخل الآباء واتجاهاتهم تجاه طفلهم الأصم .
- ولادة الطفل الأصم لآباء صم أو لآباءعاديين .
- السن عند التحاق الطفل الأصم بالمدرسة .

- مدى التجهيزات والإمكانيات المتوفرة فى المدرسة .

- مدى كفاءة المعلم الذى يتولى تعليم وتدريب التلميذ الأصم .

- إصابة الطفل الأصم بعاهات أخرى ؛ فالإعاقة البصرية ، على سبيل المثال ، يمكن أن تقلل من قا بلية التلميذ الأصم للتعلم بوسائل الاتصال المرئية ، كما أن الصمم الذى ينتج عن مرض فيروسى أثناء حمل الأم ، من الممكن أن يصاحبه إعاقات أخرى مثل التأخر العقلى ، حيث تشير الاحصاءات إلى أنه يوجد من (٢٠٪ إلى ٤٠٪) من الأطفال الصم يعانون من إعاقات أخرى بجانب الصمم . الأمر الذى يؤكد على أهمية توفير فصول خاصة لهؤلاء الأطفال الصم من متعددى الإعاقة ، مع وضع برامج خاصة بهم .

وبعد ، فإننا من خلال استعراض الملامح العامة لجوانب النمو المعرفى للتلميذ الأصم ، لابد أن نؤكد على ضرورة قيام من يتولى مهمة تخطيط وتنفيذ مناهج التلاميذ الصم ، بمراعاة طبيعة النمو المعرفى لديهم ، من خلال الاهتمام بالجوانب التالية :

١ - ضرورة ملاءمة خبرات المنهج مع المستوى العام لمعدل ذكاء التلاميذ الصم ، حتى يتحقق التعلم المثمر ، ولذا لابد من مراعاة ألا تكون خبرات المنهج أعلى من المستوى العقلى للتلميذ الأصم فينصرف عنها ، أو أقل من مستواه فلا تتحدى تفكيره .

٢ - تقديم الخبرات المباشرة القريبة من حيث المكان والزمان.

٣ - تدرج المعلومات التى تقدم للتلاميذ الصم من المحسوس إلى المجرد ومن البسيط إلى المركب .

٤ - ضرورة الاهتمام باكتساب التلاميذ الصم المهارات العملية والحياتية من خلال ربط المواد النظرية بالمواد العملية ، بحيث تصبح خبرات المنهج أكثر وظيفية بالنسبة للصم، بدلاً من التركيز على عملية التحصيل .

٥ - عند صياغة محتوى المناهج ، لابد من مراعاة إمكانية تحويل اللغة المكتوبة إلى لغة الإشارة ، بحيث يسهل شرح وتفسير المحتوى للتلميذ الأصم ، ولكى يتمكن كل من المعلم والمتعلم من استخدام الكتاب المدرسى .

٦ - ضرورة اهتمام الطرق والوسائل والأنشطة ، باستخدام الصور والأشكال التوضيحية والرسوم والخرائط والنماذج والمجسمات .. وكل مايخاطب حاسة البصر لدى التلميذ الأصم ، نظراً لقوة ذاكرة الأشكال والصور لديه .

٧ - ضرورة وضع خرائط للمفاهيم المختلفة ، التى ينبغى أن يكتسبها التلميذ الأصم بشكل متدرج على مستوى المراحل التعليمية المختلفة ، على أن تعرض تلك المفاهيم فى المناهج الدراسية ، مع توصيف بعض الطرق والاستراتيجيات التدريسية المناسبة لتدريس تلك المفاهيم .

٨ - ضرورة تبنى أساليب تقويم جديدة ،لا تعتمد على مهارات الكتابة والقراءة لدى الصم ، على أن تركز تلك الأساليب على مهارات الاتصال الخاصة بالصم .

٩ - ضرورة مراعاة المنهج للفروق الفردية الموجودة لدى التلاميذ الصم وذلك من خلال ما يلى :

- تنوع خبرات المنهج بحيث تتلاءم مع المستويات العقلية المختلفة للتلاميذ الصم .
- التركيز على التعليم الفردى ، وتدريب المعلمين على فنياته وأساليبه المختلفة .
- تنوع مداخل وطرق واستراتيجيات التدريس .
- تنوع طرق الاتصال بالتلاميذ الصم .
- تنوع الأنشطة المدرسية ، مع مراعاة اهتمامها بتنمية مهارات الاتصال لدى التلاميذ الصم .
- تنوع وتكامل أساليب التقويم، بحيث تشمل جميع جوانب النمو المختلفة لدى التلاميذ الصم .
- على المعلم ألايقارن بين مستويات التلاميذ بعضهم ببعض ، وأن ينظر إلى كل تلميذ على أنه حالة فردية ، على أن تتم المقارنة بين المستوى الحالى للتلميذ الأصم ومستواه فى الفترة السابقة .

(ب) النمو الاجتماعى والانفعالى لدى الصم :

يتأثر النمو الاجتماعى لدى التلاميذ الصم بافتقادهم للغة الكلام ، حيث يعتمد التفاعل الاجتماعى على عملية اللغة والاتصال. والتلميذ الأصم من آباء عاديين غالباً ما ينمو فى عزلة ، الأمرالذى يدفعه إلى الاختلاط بغيره من الصم ، ويكوّن معهم ما يعرف باسم (مجتمع الصم) كجماعة اجتماعية فرعية فى المجتمع ، ومجتمع الصم هذا يقدم الأساس النفسى الاجتماعى للانتماء لديهم ، إلا أن رد فعل مجتمع العاديين تجاه الصم عندما يحاولون الاختلاط

بهم ، غالباً ما يؤدى إلى الإحباط ، حيث يتعرض الصم دائماً للتحرش من قبل العاديين ، الذين ينظرون إليهم على أنهم يختلفون عنهم ، الأمر الذى يدفع الصم إلى الإنزواء والانسحاب من المجتمع ، وبالتالى ظهوره بمظهر الشخص غيرالناضج اجتماعياً .

وقد أوضحت العديد من الدراسات ، أن التلاميذ الصم أقل نضجاً من الناحية الاجتماعية من التلاميذ العاديين ، وأن التلاميذ الصم من آباء صم أكثر نضجاً من التلاميذ الصم من آباءعاديين .وأوضحت الدارسات أيضاً أن صعوبة التوافق الاجتماعى لدى الصم غالباً ما تؤدى إلى ظهور الأعراض والسلوكيات التالية :

القلق ، الخجل ، الأنانية ، الضيق وسرعة الاستثارة والغضب والاندفاع ، الشك فى الآخرين، البعد عن تحمل المسئولية ، فقدان الثقة بالنفس ، سهولة التأثر بأفكار الآخرين. كما أوضحت بعض الدراسات أن انخفاض النضج الاجتماعى لدى الصم يرجع أيضاً إلى أنماط التربية الخاطئة التى يتبعها الوالدين مع طفلهم الأصم ، التى قد تتسم بالتدليل والحماية الزائدة ، أو بالقسوة الزائدة ، وعدم إعطائهم أى قدر من الحرية والاستقلالية .

وفيما يتعلق بالنمو الانفعالى لدى الصم ، نجد أنه يتأثر أيضاً بدرجة كبيرة بسبب افتقاد الأصم للاتصال اللغوى . فمن الصعب علينا - مهما امتلكنا من قدرة على الخيال - أن نتخيل مدى المعاناة التى يعانيها الأصم ، فالصمم قد حرمه من متعة سماع صوته وصوت أمه ومداعباتها له ، وحرمه من سماع حديث وضحكات الأطفال من حوله ، ومن سماع مختلف الأصوات الصادرة عن الطبيعة من حوله ، علاوة على أن الأصم مطالب باكتساب ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذا المجتمع يتحدث بلغة لا يستطيع الأصم سماعها ، مما يشكل لديه عبئاً كبيراً .

ومن خلال الدراسات التى تناولت طبيعة النمو الانفعالى لدى الصم مقارنة بالعاديين، نستطيع أن نلخص خصائص النمو الانفعالى للصم فى النقاط التالية :

١ - يعانى الصم من بعض المخاوف المرضية .

٢ - انخفاض مستوى النضج الانفعالى لدى الصم .

٣ - الأصم أكثر عصابية وانطوائية .

٤ - يميل الصم إلى الإشباع المباشر لحاجاتهم .

٥ - يتأثر النمو الانفعالى بدرجة كبيرة بطبيعة العلاقة التى تربط الأصم بالوالدين .

٦ - انتشار بعض المشكلات السلوكية لدى التلاميذ الصم والتى تتمثل فيما يلى :

- السرقة .
- الكذب الانتقامى .
- العدوانية .
- سرعة الانفعال والغضب .
- العناد وعدم الامتثال للأوامر .
- الحساسية الزائدة فى تعامله مع الآخرين .
- الوشاية بالآخرين.
- إتلاف وتدمير ممتلكات الغير .
- تقلب المزاج .
- الشذوذ الجنسى .

فى ضوء ما تقدم ذكره عن النمو الاجتماعى والانفعالى لدى التلاميذ الصم ، فإن على من يتولون مهمة تخطيط وتنفيذ مناهج التلاميذ الصم مراعاة ما يلى :

١ - ضرورة أن تركز خبرات المنهج على بث الثقة فى نفوس التلاميذ الصم ، ومساعدتهم على تكوين مفهوم موضوعى عن حواسهم وقدراتهم وإمكاناتهم واستعداداتهم الأخرى ، لكى ينجحوا فى تقبل إعاقتهم بدون تذمر أو ضيق .

٢ - تشجيع التلاميذ الصم على المشاركة الإيجابية وتحمل المسئولية ، وعدم الاعتمادعلى الآخرين فى تصريف شئونهم .

٣ - إثارة الدافعية للتعلم لدى التلاميذ الصم ، من خلال توضيح أهمية التعليم بالنسبة لهم ، بصياغة بعض المواقف الحياتية التى تبرز دور المعرفة والعلم فى نجاح الصم فى التغلب على المشكلات التى قد تواجههم فى تلك المواقف .

٤ - التركيز على تدريب التلاميذ الصم على مهارات الحياة اليومية التى قد تواجههم فى المنزل ، المدرسة ، المجتمع ، العمل ، حتى يتغلبوا على الصعوبات التى قد تعترضهم ، وتحول دون اندماجهم فى المجتمع.

٥ - إتاحة الفرصة للتلاميذ الصم ، للتعبير عن أنفسهم من خلال ممارسة الأنشطة المختلفة داخل وخارج المدرسة .

٦ - ضرورة اهتمام المنهج بتكوين اتجاهات إيجابية لدى التلاميذ الصم تجاه الأسرة وتجاه زملائهم بالمدرسة وتجاه الأفراد العاديين فى المجتمع .

٧ - ضرورة مراعاة المنهج اكتساب التلاميذ الصم لبعض القيم الأخلاقية والاجتماعية مثل الأمانة والصدق والتسامح والتعاون والطاعة .. وذلك لمحاولة التغلب على المشكلات والانحرافات السلوكية التى تنتشر فى مجتمع التلاميذ الصم .

(جـ) المنهج وحاجات وميول واستعدادات التلاميذ الصم :

إن التعرف على حاجات وميول واستعدادات وقدرات التلاميذ الصم يعد أمراً مهماً وضرورياً بالنسبة لمخططوا وواضعوا المناهج ، وذلك لأن عدم اهتمام المناهج بحاجات وميول المتعلم ، قد تدفع المتعلم إلى إشباعها بشكل غير مقبول اجتماعياً ، بالإضافة إلى أن التلاميذ يقبلون على عملية التعلم بارتياح ورضا عند ما يشعرون بأن ما يتعلموه يشبع حاجاتهم ، وحينئذ ستصبح عملية التعلم أكثر فاعلية وأكثر متعة ووظيفية.

وعلى ذلك فلابد من القيام بعملية رصد لتلك الحاجات والميول والاستعدادات ، من خلال إجراء الدراسات المسحية المختلفة ، التى تكشف عن آراء التلاميذ الصم فيما يقدم لهم من المعارف المختلفة ، من حيث مواطن الصعوبة أو الغموض ، وكذلك مستوى السهولة. لأنه قد نعتقد نحن الكبار أن المعارف التى تقدم للتلاميذ الصم ، مناسبة تماماً لميولهم واستعداداتهم ، ولكن قدتثبت التجربة عدم صحة هذا الاعتقاد ، ومن ثم فلابد من إتاحة الفرصة أمام التلاميذ الصم لكى يعبروا عن رؤيتهم للمنهج ، بأى وسيلة كانت من وسائل الاتصال المختلفة ، ونظرا لوجود فروق فرديةعديدة بين التلاميذ الصم فيما يتعلق بإمكاناتهم وقدراتهم واستعداداتهم ، فإنه من الخطورة بمكان أن نقدم معارف وخبرات ثابتة ومتشابهة لكل التلاميذ الصم ، فالمعلم أثناء قيامه بتطبيق المنهج لا يتعامل مع قوالب جامدة متشابهة ، بل يتعامل مع تلاميذ يختلفون فيما بينهم ، لذلك فإن على المنهج أن يراعى مثل هذا الاختلاف والتباين ، من خلال وجود شىء من المرونة فى المنهج مع تنوع خبراته ومعارفه وأنشطته المختلفة وأساليب التقويم المتبعة .

رابعاً - طبيعة المعرفة وبناء المنهج :

ترتبط طبيعة المعرفة بطبيعة الفلسفة التربوية السائدة فى المجتمع ، ولذلك فإن طبيعة المعرفة التى ينبغى أن تقدم للتلميذ الأصم لابد أن تعكس فلسفة المجتمع وأهدافه وآماله من وراء تربية الأصم ، فإذا كان المجتمع يهدف من وراء تربية الأصم تدريبه على أنواع معينة من الحرف، مع اتقانه لمبادئ القراءة و الكتابة وإلمامه ببعض المعارف العامة ، فلابد أن يراعى ذلك فى طبيعة المعارف التى تقدم للتلميذ الأصم فى صورة مناهج مختلفة عبر المراحل والصفوف الدراسية المختلفة ، وإذا كان المجتمع يهدف من وراء تربية الأصم تأهيله مهنياً وإلحاقه بنوع معين من التعليم العالى أسوة بالعاديين ، فينبغى مراعاة ذلك أيضاً عند اختيار المعارف التى تؤهله للالتحاق بالتعليم العالى ، أى أن طبيعة المعرفة تتحدد فى ضوء فلسفة المجتمع وأهدافه من وراء تربية الأصم .

هذا بالإضافة إلى أن اختيار تلك المعارف يجب أن يستند إلى عدة معايير ، لابد من وضعها فى الاعتبار ، ومن تلك المعايير معيار المسئولية الاجتماعية ، والتى تتمثل فى تعريف التلميذ الأصم بحقوقه وواجباته فى المجتمع ، وجعله على وعى بقضايا ومشكلات مجتمعه ، وتزويده بالمعلومات الخاصة ببيئته المحلية ، وتنمية المهارات والمفاهيم والقيم الاجتماعية ، التى تؤهله للاندماج فى المجتمع بحيث لا يفرض على نفسه سياج من العزلة.

كما إن على المناهج أن تزود التلميذ الأصم بالثقافة العامة ، فلا ينبغى حرمان التلميذ الأصم من المعارف العامة ، بدعوى أنه أصم ، فالتلميذ الأصم قادر على استيعاب المعارف التى قد تبدو صعبة أو غامضة ، إذا ما تم تقديمها من خلال محتوى مناسب ، يتم تدريسه بمداخل وطرق واستراتيجيات مناسبة ، مع وجود الأنشطة المدرسية الملائمة .

ومن المعايير التى ينبغى مراعاتها أيضاً عند اختيار المعارف التى تدرس للتلاميذ الصم ، معرفة آراء معلمى الصم ، الذين يلمسون عن قرب جميع الصعوبات والمشكلات التى تعترض تقديم المعارف إلى التلاميذ الصم، لذلك فمن الضرورى تعرف مقترحاتهم فيما يتعلق بمحتوى المناهج الدراسية المختلفة ، ومدى إقبال التلاميذعليها ، ومعرفة آرائهم فيما ينبغى وما لا ينبغى تقديمه من معارف للتلاميذ الصم ، فهؤلاء المعلمون - خاصة أصحاب الخبرة - لابد أن ننظر إلى آرائهم ومقترحاتهم بشأن طبيعة المعرفة ، بعين الاعتبار والتقدير ، لأنهم يمتلكون الكثير من الخبرات التعليمية ، نظراً لمعايشتهم اليوميةللتلاميذ الصم .

أيضاً لابد من مراعاة حاجات واهتمامات وميول التلاميذ الصم ، عند اختيار المعارف التى تدرس لهم ، وذلك من خلال عمل الدراسات المسحية والاستبيانات وبطاقات الملاحظة.. وغيرها من الأدوات التى تتيح لنا معرفة المواد الدراسية والمعارف التى يفضلها التلاميذ الصم ومعرفة أسباب ذلك.

وينبغى ألا نغفل آراء الخبراء المتخصصين فى التربية السمعية وخبراء المناهج وعلم النفس التربوى ، عند اختيارنا للمعارف التى تحتويها مناهج التلاميذ الصم ، وذلك لأن عملية اختيار المعارف عملية جماعية تحتاج إلى تبادل الآراء وتعدد الرؤى ووجهات النظر ، بحيث تنصهر فى النهاية تلك الآراء والخبرات المختلفة ، فى بوتقة واحدة تجمع بين أصحاب الخبرة وأصحاب العلم .

وحتى تكتمل الصورة ، ينبغى أن نتعرف على آراء أولياء الأمور فى طبيعة المعارف التى ينبغى أن تقدم لأبنائهم الصم ، باعتبار أن وجهة نظر الوالدين سوف تكشف لنا عن جوانب معينة ، قد تغيب عن أذهان من يقومون بمهمة تحديد المعارف التى تتضمنها مناهج الصم .

ومن المعايير التى ينبغى أن نضعها فى الاعتبار ونحن بصدد اختيار المعارف التى يجب أن تدرس للتلاميذ الصم ، معرفتنا بمتطلبات سوق العمل ، وطبيعة الوظائف والحرف التى سوف يشغلها الأصم بعد تخرجه ، بحيث يصبح مؤهلاً للقيام بأعباء تلك الوظائف والحرف ، حتى لا يشعر الأصم بأن وجوده فى العمل أمراً شكلياً ، أو نوع من الكرم فرضه القانون الذى ينص على ضرورة وجود نسبة (٥٪) من المعوقين فى مواقع العمل والإنتاج المختلفة التابعة للحكومة ، لذلك لابد من رصد الحرف والوظائف التى تتلاءم مع طبيعة الخريج الأصم ، والتى يتطلبها سوق العمل والإنتاج ، وعلى هذا الأساس يتم اختيار المعارف التى تزود الأصم بالكفايات الملائمة والضرورية للعمل بتلك الحرف والوظائف ، لكى نربط بين الجانب النظرى والجانب العملى عند تربية الأصم ، الأمر الذى يساعد على تحقيق التوافق المهنى لدى الأصم ، باعتباره هدف رئيسى من وراء تربيته .

تلك كانت بعض المعايير التى يمكن فى ضوئها اختيار المعارف التى يمكن أن تقدم للتلاميذ الصم من خلال المناهج الدراسية المختلفة ، ولكن لابد أن نضع فى الاعتبار أنه سيظل حكمنا على مدى ملاءمة وفاعلية تلك المعارف ، مؤجلاً حتى يتم تجربتها فى الواقع ، عندئذ سوف نتمكن من تقويم تلك المعارف ومعرفة مدى ملاءمتها من عدمه للتلاميذ الصم.

خامساً - الاتجاهات العالمية وبناء المنهج :

من طبيعة العلم أنه تراكمى البناء ، فهو بمثابة سلسلة متصلة الحلقات تكونت نتيجة إسهامات الفكر الإنسانى على مر العصور المختلفة وحتى لحظة كتابة تلك الكلمات ، ولكن إذا نظرنا إلى العصر الذى نعيش فيه الآن ، فإنه يسمى بعصر المعلومات التى أحدثت تغيرات حادة فى المجتمع ، وبنفس درجة التغير تأثرت التربية وفلسفتها ومناهجها ، على اعتبار أن التربية تغير المجتمع وتتغير به .

والمناهج باعتبارها أداة المجتمع فى تربية أبنائه ، لا ينبغى أن تكون بمنأى عن كل جديد فى العلم والمعرفة ، وعن التيارات والاتجاهات التربوية الحديثة، وعلى ذلك لابد لمن يتصدى لمهمة تخطيط وتنفيذ مناهج التلاميذ الصم ، أن يكون على دراية كاملة بكل جديد بالأدبيات الخاصة بمجال تربية الصم على المستويين المحلى والعالمى ، ليتم ترجمة تلك الاتجاهات ، فى كافة عناصر المنهج ، وعلى الرغم من أن واقعنا التربوى فى مجال تربية الصم يفتقد ويفتقر إلى العديد من الدراسات والبحوث التى تتعلق بالتلاميذ الصم ؛ لكن هذا لا يمنع من قيام خبراء المناهج برصد التجارب والدراسات والبحوث السابقة التى أجريت على المستوى المحلى والقومى فى مجال تربيةالصم ، والاستفادة منها عند وضع مناهج التلاميذ الصم ، لأن تلك الدراسات والبحوث ، تعبر عن واقعنا الاجتماعى والتربوى ، وعن خصائص نمو التلميذ الأصم ، الذى هو نتاج لهذا المجتمع ، وهو بالضبط ما نحتاجه عند بناء مناهج التلاميذ الصم، وهو الأمر الذى يدفعنا إلى القول بأن الاتجاهات العالمية والبرامج التربوية والمناهج التى تطبق فى الخارج والتى أسفرت عن نتائج إيجابية ، ليست بالضرورة صالحة لأن تطبق لدينا ، لأن لكل مجتمع ثقافته وهويته وفلسفته التى تميزه عن المجتمعات الأخرى ، أضف إلى ذلك إن طبيعة التلاميذ الصم تختلف باختلاف المجتمع الذى نشأوا وتربوا فيه ، من حيث قيمهم واتجاهاتهم وثقافتهم ومستوى معيشتهم ، كما تختلف نظرة واتجاهات الناس إليهم باختلاف المجتمع أيضًا .

فعلى سبيل المثال ، فإن المناهج التى يدرسها التلميذ الأصم فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لا ينبغى أن تكون بالضرورة من نفس المناهج التى يدرسها التلميذ الأصم فى مصر ، وذلك نظراً لاختلاف طبيعة المجتمع وطبيعة الصم وطبيعة الإمكانات المادية والبشرية المتاحة فى كل من البلدين ، ولذلك يجب أن نحدد فلسفتنا وأهدافنا فى ضوء واقعنا المحلى ،

وأن يتلاءم مستوى طموحنا بالنسبة لتربية وإعداد التلاميذ الصم ، مع تلك الإمكانات المتاحة لدينا ، حتى لا نضع أهدافاً يصعب تحقيقها ، أو نرسم فى أذهاننا صورة خيالية تفتقد إلى الواقعية ، الأمر الذى قد يصيبنا فى النهاية بالإحباط والضيق لعدم تحقيق تلك الأهداف وهذه الصورة .

وعلى ذلك يمكن القول أن الإطلاع على الاتجاهات العالمية فى مجال تخطيط وبناء مناهج الصم ،على درجة كبيرة من الأهمية ، ولكن ينبغى أن يصاحبه الاطلاع على البحوث والدراسات ، التى أجريت على المستوى المحلى والقومى ، بالإضافة إلى الاستفادة من الرصيد الخبرى الذى تم تكوينه من خلال العمل فى مجال تربية الصم .

* * *

الخلاصة :

ناقشنا فى هذا الفصل موضوع أسس تخطيط وبناء مناهج التلاميذ الصم وتضم هذه الأسس :

١ - المنطلقات الفكرية فى تربية الأصم .

٢ - طبيعة المجتمع ونظرته إلى الأصم .

٣ - طبيعة الأصم . والتى تشمل :

- النمو المعرفى لدى الصم .

وقد تم إلقاء الضوء على الجوانب التالية لدى التلاميذ الصم :

مستوى الذكاء والتحصيل ، اللغة وعلاقتها بالتفكير ، طبيعة اللغة المكتوبة والمقروءة ، طبيعة الذاكرة ، مفهوم الزمن ، اكتساب المفاهيم ، الفروق الفردية بين التلاميذ الصم .

ثم أوضحنا الجوانب التى ينبغى على من يتولى مسئولية تخطيط وتنفيذ مناهج الصم أن يراعيها ، لكى يتلاءم المنهج مع طبيعة النمو المعرفى لدى التلاميذ الصم .

- النمو الاجتماعى والانفعالى لدى الصم .

وقد تم استعراض طبيعة النمو الاجتماعى والانفعالى لدى الصم ، ومدى تأثير الصمم على كل من النضج الاجتماعى والانفعالى لديهم ، بالإضافة إلى المشكلات السلوكية التى

تنتشر بين التلاميذ الصم ، ودور المنهج فى التخفيف من حدة المشكلات الاجتماعية والانفعالية ، التى تواجه التلاميذ الصم .

ثم أوضحنا ضرورة مراعاة حاجات وميول واستعدادات واهتمامات التلاميذ الصم عند وضع المنهج .

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى مناقشة رابع الأسس التى يجب أن يبنى عليها مناهج الصم ، وهى :

٤ - طبيعة المعرفة .

وأوضحنا أن طبيعة المعرفة لابد أن تتحدد فى ضوء المعاييرالتالية :

- الفلسفة التربوية السائدة فى المجتمع .
- المسئولية الاجتماعية للتلميذ الأصم .
- آراء كل من التلاميذ الصم والمعلمون والخبراء وأولياء الأمور .
- متطلبات سوق العمل .

وأخيراً أنهينا الفصل بمناقشة خامس الأسس التى يجب أن يبنى عليها مناهج الصم وهى:

٥ - الاتجاهات العالمية .

حيث بينا أهمية الاستفادة من الاتجاهات والتيارات الفكرية العالمية فى مجال مناهج الصم، بما يتلاءم مع ثقافتنا وفلسفتنا وأهدافنا ، مع ضرورة الاستفادة من البحوث والدراسات التى أجريت على المستوى المحلى والقومى .

* * *